للعهد ، والمراد به سيدنا محمد ﷺ ، بقرينة قوله: «حتى أكون أحبَّ» وإن كانت محبة جميع الرسل من الإيمان ، لكن الأَحَبِّية مختصة بسيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم.

الحديث السابع

١٤ ـ حدّثنا أبو اليَمَانِ قَال: أَخْبَرَنَا شُعَيْب قالَ: حدَّثَنا أبو الزِّنادِ عن الأَعْرجِ عنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِي الله عنهُ أنَّ رَسولَ الله ﷺ قالَ: «وَالَّذِي نَفْسي بِيَدِهِ لا يُؤمِنُ أَحَدُكُمْ حَتى أكونَ أَحَبَّ إليهِ مِن والدِهِ وولَدِهِ».

قوله: «والذي نفسي بيده» وفي رواية «فوالذي نفسي بيده» أي: بقدرته ، أو هو من المتشابه المفوض علمه إلى الله تعالى ، وقال أبو حنيفة: يلزَمُ من تأويلها بالقدرة عين التعطيل ، فالسبيل فيه كأمثاله الإيمان به على ما أراد ، ونَكُفُّ عن الخوض في تأويله ، فنقول: له يد على ما أراد ، لا كَيَدِ المخلوق ، وقد استوفيت الكلام على هذه المسألة في كتاب «متشابه الصفات» ويؤخذ منه جواز القسم على الأمر المهم للتأكيد ، وإن لم يكن هناك مستحلِف ، والمقسم عليه قوله: «لا يُؤْمِنُ أحدكم» أي إيمانا كاملاً.

وقوله: «حتى أكون أحب إليه» أفعل التفضيل هنا بمعنى المفعول ، وهو كثير غير مقيس ، منصوب خبر لأكون ، وفصل بينه وبين معموله بقوله: «إليه» لأن الظرف يتوسع فيه ما لا يتوسع في غيره.

وقوله: «من والده» أبيه وأمه ، أو اكتفى به عنها.

وقوله: «وولده» أي ذكراً وأنثى ، وقدم الوالد للأكثرية لأنّ كل أحد له والد من غير عكس ، أو نظراً إلى جانب التعظيم ، أو لسبقه في الزمان ، وعند النَّسائي تقديم الولد لمزيد الشفقة ، وخصهما بالذكر لأنهما أعز على الإنسان غالباً من غيرهما ، وربما كانا أعز على ذي اللُّبِّ من نفسه فالثالثة محبة رحمة وشفقة ، والثانية محبة إجلال ، والأولى وهي محبة الرسول

صلى الله تعالى عليه وسلم محبة إحسان ، وقد ينتهي المحب في المحبة إلى أن يؤثر هوى المحبوب على هوى نفسه ، فضلاً عن ولده ، بل يحب أعداء نفسه لمشابهتهم محبوبه ، قال:

أشْبَهْتَ أعْدائي فَصِرْتُ أُحِبُّهُم إذْ صَارَ حظّي مِنك حَظّي مِنهُمُ

والمراد بالحب هنا حب الاختيار المستند إلى الإيمان ، لا حُب الطبع ، فمعناه: لا يؤمن حتى يؤثر رضايَ على رضى الوالدين ، وإن كان فيه هلاكهما.

وقال النَّوَويّ: فيه تلميح إلى قضية النفس الأمارة والمطمئنة ، فمن رَجَّحَ جانب المطمئنة كان حبه للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم راجحاً ، ومن رَجَّحَ جَانب الأمارة كان حكمه بالعكس ، وإنما وَجَبَ أن يكون عليه الصلاة والسلام أحبَّ إلى الإنسان من غيره ، لأن محبوب الإنسان إما نفسه وإما غيره ، أما نَفْسه فهو أن يريدَ دوام بقائها سالمة من الآفات ، هذا هو حقيقة المطلوب ، وأما غيره ، فإذا حقق الأمر فيه فإنما هو بسبب تحصيل نفع ما على وجوهه المختلفة حالاً ومآلاً ، فإذا تأمَّل النَّفْعَ الحاصل له من جهة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الذي أخرجه من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ، إما بالمباشرة وإما بالسبب ، علم أنه سبب بقاء نفعه البقاء الأبدي في النعيم السَّرمدي ، وعلم أن نفعه بذلك أعظم من جميع وجوه الانتفاعات ، فاستحق لذلك أن يكون حظه من محبته أوفر من غيره ، لأن النفع المثير للمحبة حاصل منه أكثر من غيره ، ولكن الناس يتفاوتون في ذلك بحسب استحضار ذلك والغفلة عنه ، ولا شك أن حظ الصحابة رضي الله تعالى عنهم من هذا المعنى أتم، لأن هذا ثمرة المعرفة ، وهم بقدره ومنزلته أعلم.

وقال القُرْطُبيّ: كل من آمن بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم إيماناً صحيحاً لا يخلو عن وجدانه شيء من تلك المحبة الراجحة ، غير أنهم

متفاوتون ، فمنهم من أخذ تلك المرتبة بالحظ الأوفى ، ومنهم من أخذ منها بالحظ الأدنى ، كمن كان مستغرقاً في الشهوات ، محجوباً في الغَفَلات في أكثر الأوقات ، لكن الكثير منهم إذا ذُكِر النبيُّ صلى الله تعالى عليه وسلم اشتاق إلى رؤيته ، بحيثُ يؤثِرُها على أهله وولدِه ووالدِه ومالِه ويبذُل نفسه في الأمور الخطيرة ، ويجدُ مخبر ذلك من نفسه وُجداناً لا تردد فيه ، وقد شوهد من هذا الجنس من يؤثر زيارة قبره الشريف ورؤية مواضع آثاره على جميع ما ذكر لما وَقَر في قلوبهم من محبته ، غير أن ذلك سريع الزوال بتوالي الغَفَلات ، وأيضا المحبة ، إما اعتقاد النفع أو ميل يتبع ذلك أو صفة مخصصة لأحد الطرفين بالوقوع ، ثم الميل قد يكون لما يَسْتَلِذُّه بحواسه كحسن الصورة ، ولما يستلذه بعقله كحب الفضل والجمال ، وقد يكون لإحسانه إليه ، ودفع المَضارِّ عنه ، ولا يَخْفى أن المعاني الثلاثة كلها موجودة في رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما جمع من جمال الظاهر والباطن ، وكمال أنواع الفضائل ، وإحسانه إلى جميع المسلمين بهدايتهم إلى الصراط المستقيم ، ودوام النعيم ، ولا شَكَّ أن الثلاثة فيه أكمل مما في الوالدين لو كانت فيهما ، فيجب كونه أحب منهما ، لأن المحبة ثابتة لذلك ، حاصلة بحسبها ، كاملة بكمالها ، ومحبته عليه الصلاة والسلام هي إرادة طاعته ، وترك مخالفته ، وهي من واجبات الإسلام. وجعل القاضي عِياض معنى المحبة: التعظيم والإجلال ، فجعلها شرطاً في صحة الإيمان ، وتَعَقَّبَه القُرطبيّ قائلاً: إن ذلك ليس مراداً هنا ، لأن اعتقاد الأعظمية ليس مستلزماً للمحبة التي هي الميل على ما مر ، إذ قد يجد الإنسان إعظام شيءٍ مع خلوه من محبته ، قال: فَعَلى هذا من لم يجد من نفسه ذلك الميل لم يَكْمُل إيمانه ، وإلى هذا يُومىءُ قول عمر الذي رواه البخاري في الأَيْمان والنذور عن عبدالله بن هشام ، أن عُمر رضي الله تعالى عنه قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم: لَأَنْتَ يا رسولَ الله أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي ، فقال: «لا ، والّذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك» فقال له عمر: فإنك والله الآن أحب إلي من نفسي ، فقال: «الآن يا عمر».

فهذه المحبة ليست باعتقاد الأعظمية فقط ، فإنها كانت حاصلة لعُمر قبل ذلك ، وإنما قدم عمر حب نفسه أولاً لأن حب الإنسان نفسه طبع وحب غيره اختيار بتوسط الأسباب ، وإنما أراد عليه الصلاة والسلام منه حب الاختيار إذ لا سبيل إلى قلب الطباع عما جُبِلَتْ عليه ، فجواب عُمر أولاً كان بحسب الطبع ، ثم لما تأمل عرف بالاستدلال أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أحب إليه من نفسه لكونه السبب في نجاتها من الهَلَكات في الدنيا والآخرة ، فأخبر بما اقتضاه الاختيار ، فلذلك حصل الجواب بقوله: «الآن يا عُمر» أي: الآن عرفت ، فنطقت بما يَجِبُ ، ومن علامة الحب المذكور أن يعرض على المرء أن لو خُيِّرَ بين فقد غرض من أغراضه ، وفقد رؤية النبي ﷺ لو كانت ممكنة يكون فقدها أشد عليه من فقد شيءٍ من أغراضه ، فمن كان بهذه الصفة كان متصفاً بالأَحَبِّيَّة المذكورة ، ومن لا فلا ، ومن علامتها أيضا نصرة سنته ، والذب عن شريعته ، وقمع مخالفيها ، ويدخل فيه باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفي الحديث إيماء إلى فضيلة التفكر ، فإن الأَحَبِّيَّة المذكورة تعرف به.

رجاله خمسة:

الأول: أبو اليَمان الحكم بن نافع.

والثاني: شُعيب بن أبي حَمْزة ، وقد مرّا في الحديث السابع من بدء الوحي.

الثالث: عبدالله بن ذَكْوان القُرَشِيّ أبو عبد الرحمن المَدَني المعروف بأبي الزِّناد ، مولى رملة ، وقيل: عائشة بنت شَيْبة بن ربيعة ، وقيل: عائشة بنت عثمان ، وقيل: مولى آل عثمان ، وقيل: إن أباه كان أخا أبي لُؤلؤة ، قاتِل عمر.

وقال ابن عُيَيْنة: كان يغضب من أبي الزِّناد. وقال ابن المَدِيني: لم يكن بالمدينة بعد كبار التابعين أعلم منه ومن ابن شِهاب ، ويحيى بن

سعيد ، وبُكَير بن الأشـجّ . وقال أحمد : ثقة ، وكان سفيان يُسَمِّيه أمير المؤمنين في الحديث . قال : وهو فوق العلاء بن عبد الرحمن ، وسُهَيل بن أبي صالـح ، ومحمد بن عَمرو ، وقال أحمد أيضا : أبو الزناد أعلم من ربيعة . وقال ابن مَعين : ثقة حجة . وقال العِجْلِيّ : مدني تابعي ثقة ، سمع من أنس . وقال أبو حاتم : ثقة فقيه ، صالح الحديث ، صاحب سنة ، وهو ممن تقوم به الحجة إذا روى عن الثقات . وقال البخاري : أصح أسانيد أبي هُريرة أبو الزِّناد عن الأَعْرج عن أبي هُريرة . وقال عبد رَبّه بن سعيد : رأيت أبا الزناد دخل مسجد النبي ﷺ ، ومعه من الأَتْباع مثل ما مع السلطان . وقال أبو حَنيفة : دخلت المدينة ، فأتيت أبا الزِّناد ، ورأيت ربيعة ، فإذا الناس على ربيعة ، وأبو الزِّناد أفقه الرجلين ، فقلت له : أنت أفقه والعمل على ربيعة ، فقال : ويحك كفٌّ من حُظوة خيرٌ من جراب من علم . وقال ابن سَعْد : كان ثقة كثير الحديث فصيحاً بصيراً بالعربية عالماً عاقلاً . وقال ابن حِبّـان في «الثقـات» كان فقيهاً ، صاحب كتاب . وقال ابن عَديّ : أحاديثه مستقيمة كلها . وقال النَّسائي والسَّاجيُّ والطَّبريّ : كان ثقة . وقال اللَّيْث : رأيت أبا الزِّناد وخلفه ثلاث مئة تابع من طالب علم وفقه وشِعر وصنوف كثيرة ، ثم لم يَلبَث أن بقي وحده وأقبلوا على ربيعة .

روى عن أنس ، وعائشة بنت سعد ، وأبي أُمامة بن سَهْل بن حُنيف ، وقال أبو حاتم : روى عن أنس مرسلاً ، وعن ابن عمر ، ولم يره ، وروى عن سعيد بن المُسَيِّب وأبي سلمة بن عبدالرحمن ، وأبان بن عُثمان بن عفان ، وعُروة بن الزُّبير ، والأعْرج وهو راويته ، وعُبيدالله بن عبدالله بن عُتبة بن مسعود ، وغيرهم .

وروي عنه : ابناه عبد الرحمن وأبو القاسم ، وصالح بن كيسان ، وابن أبي مُلَيْكَة ، وهما أكبر منه ، والأعمش ، وهشام بن عروة ، وشعيب بن أبي حمزة ، ومالك والسفيانان ، وغيرهم .

مات في رمضان فجأة في مغتسله سنة ثلاثين ومئة ، وقيل : سنة إحدى وثلاثين ، وقيل : اثنتين وهو ابن ست وستين سنة .

الرابع: عبدالرحمن بن هُرْمُز أبو داود ، وقيل: أبو حازِم ، وقيل: أبو أحمد المَدَني مولى ربيعة بن الحارث بن عبدالمُطَّلب.

وقال ابن سَعْد: كان ثقة كثير الحديث ، وقال المُقَدَّميّ: سُئل ابن المديني عن أعلى أصحاب أبي هريرة فبدأ بابن المسيِّب ، وذكر جماعةً. قيل له: فالأعرج؟ قال: دون هؤلاء ، وهو ثقة. وقال العِجْليّ: مدني تابعي ثقة. وقال أبو زُرعة وابن خِراش: ثقة. وقال أبو إسحاق: قال أبو صالح والأعْرج: ليس أحد يُحدِّث عن أبي هُريرة إلا علِمنا أصَادقٌ هُو أم كاذب. وقال أبو النَّضْر: كان الأعْرج عالمًا بالأنساب والعربية. وقال الدّاني: روى عنه نافع بن أبي نُعيم القراءة عرضاً.

روى عن: أبي هُريرة ، وأبي سعيد ، وابن عباس ، ومحمد بن مَسْلمة الأنصاري ، ومعاوية بن أبي سفيان ، ومُعاوية بن عبدالله بن جَعفر ، وعبدالله بن كَعب بن مالك ، وعُمير مولى ابن عباس ، وغيرهم.

وروى عنه: زيد بن أسلم ، وصالح بن كَيْسان ، والزُّهْريّ ، وأبو الزُّبير ، ويحيى بن سعيد ، وأبو الزِّناد ، وربيعة ، وموسى بن عُقبة ، وجعفر بن ربيعة ، وسعد بن إبراهيم ، ومحمد بن إسحاق ، وابن لَهِيعة ، وغيرهم.

مات بالإسكندرية سنة سبع عشرة ومئة.

وليس في الرواة عبدالرحمن بن هُرمز سواه ، وفيهم عبدالله بن يزيد ابن هُرمز روى عنه مالك ، وأخذ عنه الفقه ، وهو عالم من علماء المدينة ، قليل الرواية ، وحيث يَذْكر مالكٌ ابن هُرمز راوياً عنه فإنما يريد هذا الفقيه لا عبدالرحمن بن هُرمز ، فإن مالكاً لم يرو عنه إلا بواسطة ، توفي الفقيه هذا سنة ثمان وأربعين ومئة.

الخامس: أبو هُريرة ، وقد مرّ في الثاني من هذا الكتاب.

لطائف إسناده: منها أن فيه التحديث والعَنعنة ، وفي بعض النسخ:

أخبرنا شُعيب ، فيكون فيه على هذا الإخبار أيضا ، وإسناده مشتمل على حِمْصيين ومَدنيين ، وقد وقع في «غرائب مالك» للدارقُطني إدخال أبي سلمة بن عبدالرحمن بن الأعْرج وأبي هُريرة في هذا الحديث ، وهي زيادة شاذّة.

أخرج البخاريّ هذا الحديث هنا ، وأخرجه مسلم في الإيمان عن ابن المثنى وغيره ، والنّسائي أيضاً.

الحديث الثامن

١٥ ـ حدّثنا يعْقُوبُ بنُ إبْراهيم قال: حَدَّثَنَا ابنُ عُلَيَّةَ عن عبدِالعزيز بن صُهيب عنْ أنسٍ عن النبيِّ ﷺ .ح. وحدَّثَنَا آدَمُ قال: حدَّثَنَا شُعْبَةُ عنْ قَتَادَةَ عن أنَسٍ قال: قال النبيُّ ﷺ: «لايُؤْمنُ أحَدُكُم حتى أكونَ أحَبَّ إليهِ مِنْ والدِهِ وولَدِهِ والناسِ أجْمَعين».

ذكر هذا الحديث بإسنادين عاطفاً الثاني على الأول قبل أن يسوق المتن ، وذلك يوهم استواءهما فيه ، وليس الأمر كذلك ، فاللفظ المذكور عنده لفظ قَتادة ، واقتصر عليه لموافقته لسياق حديث أبي هُريرة المار ، إلّا أن فيه زيادة: «والناس أجمعين» ورواية قَتادة هذه مأمونة من تدليسه ، لأن الراوي عنه شعبة ، وهو لا يروي عنه إلا ما صرح فيه بالسماع ، وقد وقع التصريح به في هذا الحديث في رواية النّسائي. ولفظ عبدالعزيز رواه ابن خُزَيْمة ومسلم مثله ، إلا أن فيه: «من أهله وماله» بدل من. «ولده ووالده» وفيه: «لا يُؤمن الرجل» فبين الروايتين تغاير ، وصنيع البخاري يُوهم اتحادهما ، ويجاب عن هذا بأن البخاري يصنع مثل هذا نظراً إلى أصل الحديث لا إلى خصوص ألفاظه ، ولفظ: «لا يؤمن الرجل» أشمل من جهة ، «وأحدكم» أشمل من جهة ، وأشمل منهما رواية الأصِيلِيّ: «لا يؤمن أحد» كذا قال في «الفتح» ولم يبين وجه الأشملية ، قال: وذكر الولد والوالد أدخل في المعنى لأنهما أعز على العاقل من الأهل والمال ، بل ربما يكونان أعز من نفسه ، ولهذا لم يذكر النفس أيضا.